مسألة ثواب الكافر
دراسة تحليلية

إعداد

د.عفاف بنت محمد بن إبراهيم الراشد الحميد

الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة القصيم

المملكة العربية السعودية

من ٤٩٧ إلى ٥٥٤

The Reward Of The Unbeliever
An Analytical Study

Prepared by

Dr. Afif bint Muhammad bin Ibrahim Al-Rashed Al-Hamid
Associate Professor in the Department of Contemporary Islamic Creed and Schools of Thought, Qassim University
Kingdom of Saudi Arabia

مسألة ثواب الكافر

دراسة تحليلية

عفاف محمد إبراهيم الراشد الحميد
قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية.
البريد الإلكتروني:Dr.aalrashed@hotmail.com

الملخص :

يتناول البحث مسألة ثواب الكافر وما يتفرع عنها من مسائل، وقد تم تقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث ففي المبحث الأول بيان لثواب الكافر في الدنيا على ماقدم من أعمال حسنة مع بيان أدلتها من الكتاب والسنة.

وفي المبحث الثاني بيان لثواب الكافر في الآخرة مع الأدلة.

وفي المبحث الثالث عرض لثواب الكافر الذي أسلم على ماقدم من أعمال حسنة قبل إسلامة مع بيان الأقوال في هذه المسألة.

والهدف الرئيس من البحث هو بيان مصير أعمال الكفار في الدنيا والآخرة إن لم يسلموا، ومصير أعمالهم التي قدموها قبل إسلامهم.

وقد انتهى البحث إلى عدة نتائج منها:

أن للكافر في انتفاعه بحسناته حالتان: الأولى إن لم يسلم فإنه ينتفع بها في الدنيا، ولاينتفع بها في الآخرة، والثانية: إن أسلم فإنه ينتفع بثوابها في الآخرة.

الكلمات المفتاحية: الثواب؛ الكافر؛ تخفيف العذاب؛ إسلام الكافر؛ ثواب الكافر.

The Reward Of The Unbeliever
An Analytical Study

Afaf Mohammad Ibrahim Alrashed Alhomaid
Department Of contemporary Doctrines And Sects At Qussim University Saudi Arabia.
EMAIL:Dr.aalrashed@hotmail.com

Abstract:
The research deals with the issue of the reward of the unbeliever ,and the issues that branch out from it.
The research was divided into three sections,the first is about the reward of the unbeliever in his life for the good deeds he did.
The second section about the reward of the unbeliever in the afterlife .
In the the third section it is about the reward of the unbeliever who become amuslim on what he did before his conversion to islam.
Search results:The unbeliever benefits from his good deeds in this life ,but does not benefit from them in the afterlife ,unless
He converts to islam ,he will benefit from it after his life .
Keywords:The Reward, The Unbeliever, The Reward Of The Unbeliever Conversion To islam.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد..

فإن من أجل المقاصد التي خلق الله تعالى الخلق لأجلها هي القيام لله تعالى بحق العبودية، قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات: ٥٦ ، ولتحقيق العبودية فقد أمرهم ونهاهم وجعل هذه الحياة محلا للإبتلاء والاختبار وميدانا للعمل، وجعل لمن آمن به وأطاعه ثوابا، ومن كفر به وعصاه عقابا.

ومحل الثواب على الأعمال إما أن يكون في الدنيا أو في البرزخ أو في الآخرة، وهذا من كمال عدله تعالى ليشمل الثواب من لم يؤمن به وعمل أعمالا حسنة فيثيبه عليها في دنياه.

ومبحث الثواب والعقاب من المباحث المتعلقة بأصول الإيمان ومسائله لاسيما فيما يتعلق بالمخالفين، وفيه جانب له علاقة بالغيبيات وهي أحكام اليوم الآخر ومصير الخلق مؤمنهم وكافرهم.

لذا جاء هذا البحث ليكشف عن جانب مهم وهو باب الثواب ومايتعلق به من أحكام تتعلق بالكفار فكان عنوانه: مسألة ثواب الكافر، دراسة تحليلية.

أهمية البحث :

تتجلى أهمية البحث فيما يأتي:

١/ أنه يجمع ماتفرق من تفاصيل المسألة المبثوثة في مصنفات التفسير، وشروح الحديث وأصول الفقه والعقيدة.

٢/ أن هذه المسألة ليست نظرية محضة وإنما يترتب عليها مسائل عملية كمسألة حكم الدعاء للكافر وهل يعتد بعمل من أسلم من الكفار كالعبادات والكفارات وهي مسائل فقهية وقع فيها الخلاف بناءً على الأصل العقدي للمسألة.

٣/أنها تمس الواقع من حيث أنهاكثيرا ماتثار عند ذكر مناقب الكفار ومافعلوه في دنياهم بعد رحيلهم من الدنيا، فكان التأصيل العقدي مهم في هذا الباب.
٤/ وفي المسألة إظهار لمظهر من مظاهر عدله تعالى مع عباده –مؤمنهم وكافرهم– وأنه لايضيع أجر من أحسن عملا.

مشكلة البحث :

تنحصر مشكلة البحث في السؤال الرئيس: هل يثاب الكافر على مافعل من أعمال صالحة؟

ويندرج تحت هذا السؤال الأسئلة التالية:

١/ ماثواب الكافر على أعماله الحسنة في الدنيا؟
٢/ مامصير أعمال الكافر التي فعلها قبل أن يسلم؟
٣/ هل يثاب الكافر على أعماله الصالحة في الآخره؟

أهداف البحث:

١/بيان ثواب الكافر على أعماله الحسنة في الدنيا.
٢/الوقوف على مصير أعمال الكافر التي قدمها قبل أن يسلم.
٣/ بيان ثواب الكافر على أعماله في الاخره.
٤/إزالة ماقد يقع من إشكالات وماتوهم تعارضه بين الأدلة.

الدراسات السابقة :

بعد البحث والسؤال لم أجد بحثا مستقلا شمل جميع أركان الموضوع وتفاصيله، وإنما وجدت بعض الدراسات المتعلقة بالكفار بشكل عام ومنها:

١/ المسائل العقدية المتعلقة بالكفار، إيهاب نادر علي موسى،رسالة دكتوراه، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة،كلية الدعوة وأصول الدين ،١٤٣٥هـ/١٤٣٦هـ

وهي رسالة نفيسة استغرقت كل ماله علاقة بالكفار، وقد جعلها الباحث في بابين، الباب الأول في المسائل العقدية المتعلقة بالكفار في الدنيا، وقسم الباب إلى ثلاثة عشر فصلا تضمنت أسماء الكفار وألقابهم وأصنافهم وحقيقة الكفر ومسائل تكفير الكافر وبلاد الكفار وعباداتهم ومعاملتهم واستعمالهم

وجهادهم ومسالمتهم وعقوبتهم في الدنيا وإمامة الكافر ومايتعلق بأطفالهم والامثال المضروبة للكفار، ومسائل القضاء والقدر.

والباب الثاني في المباحث العقدية المتعلقة في الكفار في الآخرة،وفيه ثلاثة فصول تضمنت مسائل أشراط الساعة والموت والبرزخ والبعث والحشر والحساب واستلام الصحائف ووزن الكفار وأعمالهم، ودخولهم إلى النار.

وتتقاطع الرسالة مع هذا البحث في مطلب في حكم أعمال الكفار الحسنة في الآخرة، ولم يخصص لمايتعلق بالثواب الدنيوي أو مسألة إسلام الكافر مبحثا مستقلا.

٢/ رسالة في طاعة الكافر لاتنفع، عالم محمد الأيديني: دراسة وتحقيق، تحقيق:أحمد كامل العيساوي، ديوان الوقف السني، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد٥٦، ٢٠١٨م.

وأصل البحث مخطوط يقع في أربع ورقات، وهو رسالة قصيرة لم تستغرق كل ماله صلة بثواب الكافر.

حدود البحث:

الحدود الموضوعية للبحث في ثواب الكافر في الدنيا والآخرة إن لم يسلم، وثوابه إن أسلم،ويخرج بهذا مايتعلق بالعقاب ومايندرج تحته من مسائل.

منهج البحث ك

المنهج التحليلي وذلك باستقراء الأدلة والأقوال في المسألة وتحليلها على ضوء أقوال أهل العلم وتقريراتهم في المسألة.

إجراءات البحث:

١/كتابة الآيات وفق الرسم العثماني مع ذكر اسم السورة ورقم الآية.

٢/تخريج الأحاديث وبيان حكم أهل العلم على ماليس في الصحيحين.

٣/توثيق الأقوال والنقول من مصادرها وذلك بذكر اسم الكتاب والمؤلف وموضع النقل.

خطة البحث :

يقع البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهارس

المبحث الأول: ثواب الكافر في الدنيا.

المبحث الثاني: ثواب الكافر في الآخرة.

المبحث الثالث: ثواب الكافر إن أسلم على ماسلف قبل إسلامه.

والله أسأل أن يجعله عملا خاصا لوجهه، نافعا لعباده، وهو سبحانه ولي ذلك والقادر عليه.

التمهيد:

أولا: معنى الثواب

الثواب لغة: من ثاب يثوب ثؤوبا أي رجع بعد ذهابه، وكل راجع ثائب، والمثوبة الثواب، وأعطيت فلانا ثوابا أي جزاء ماعمل، وأثاب الله العباد يثيبهم إثابة وثوابا إذا جازاهم بأعمالهم، والثواب هو مايرجع على المحسن من إحسانه وعلى المسيء من إساءته، والمثابة المكان يثوب إليه الناس قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا ﴾ البقرة: ١٢٥ أي يثوبون إليه لايقضون منه وطرا أبدا.

قال شيخ الإسلام:"فإنه إنما سمي الثواب ثوابا لأنه يثوب إلى العامل من عمله أي يرجع"[١]

وقد يستعمل لفظ الثواب في الشر كما في قوله تعالى: ﴿ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ المطففين: ٣٦

، وقوله ﴿ * إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ ﴾ آل عمران: ١٥٣

، واستعماله في الشر استعارة كاستعارة البشارة فيه، إلا أن استعماله في الخير أخص وأكثر [٢]

والثواب اصطلاحا: مايستحق به الرحمة والمغفرة من الله تعالى، والشفاعة من الرسول -صلى الله عليه وسلم-، وقيل: الثواب هو إعطاء مايلائم الطبع.[٣] أو مايرجع إلى الإنسان من جزاء أعماله.[٤]

---

[١] مجموع الفتاوى ٣٩٧/٨

[٢] ينظر: العين، الخليل بن أحمد، مادة ثوب ٢٤٦/٨، جمهرة اللغة، أبوبكر الأزدي مادة ثوب،٢٦٢/١، تهذيب اللغة، محمد الأزهري مادة ثوب ١١٣/١٥، مقاييس اللغة، أحمد بن فارس مادة ثوب ٣٩٣/١، لسان العرب، محمد ابن منظور، مادة ثوب ،٢٤٣/١، النهاية في غريب الحديث، ابن الأثير الجزري ٢٢٧/١، التوقيف على مهمات التعاريف ١١٨/١.

[٣] التعريفات، الجرجاني ص٧٢

[٤] المفردات في غريب القرآن،الراغب الأصفهاني، ص ١٨٠

أو مايثوب إليك من فضل الله في جزاء الأعمال الصالحة.[١]
ومن مرادفات الثواب لفظ الأجر، وقد عرفه بعض العلماء بأنه مايعود من ثواب العمل دنيويا كان أو أخرويا.[٢]
وهناك من وضع فروقا بينهما منها:
أن الأجر يكون قبل الفعل المأجور عليه والثواب لايكون إلا بعد العمل، فتقول لاأعمل حتى آخذ أجري، ولاتقول حتى آخذ ثوابي.
ومنها أيضا الثواب يكون في الجزاء على الحسنات، والأجر على هذا المعنى وعلى معنى المثامنة بأدنى الأثمان.[٣]
ثانيا: معنى الكفر
الكفر لغة:
الكاف والفاء والراء أصل صحيح يدل على معنى واحد، وهو الستر والتغطية، وكل شيء غطى شيئا فقد كفره، وأصل الكفر تغطية الشيء تغطية تستهلكه.
فالرجل يكفر درعه بثوب كفرا أذا لبسه فوقه فالثوب كافر الدرع، والكافر الليل لأنه يستر كل شيء بظلمته، والبحروالنهر العظيم لسترهما مافيهما، والزارع لأنه يستر البذر بالتراب، ويطلق الكافر على مغيب الشمس، والسحاب المظلم.
وإنما سمي الكافر كافرا لأن الكفر غطى قلبه كله، وجمع الكافر كفار وكفرة وكفار بكسر الكاف، والكوافر جمع كافرة.
والكفر نقيض الإيمان، ونقيض الشكر، كفر النعمة أي لم يشكرها، والكفر على أربعة أنحاء كفر إنكار وكفر جحود وكفر معاندة وكفر نفاق [٤]
الكفر اصطلاحا:

---

[١] غريب الحديث، الخطابي ٧١٦/١
[٢] المفردات ص ١٠
[٣] ينظر: معجم الفروق اللغوية، الحسن العسكري، ص١٧
[٤] ينظر : العين، مادة الكاف والراء والفاء ٣٥٦/٥-٣٥٧، تهذيب اللغة مادة كفر ١١٠/١٠، مقاييس اللغة مادة كفر ١٩١/٥، النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٧/٤، لسان العرب مادة كفر ١٤٤/٥

تعددت عبارات العلماء في بيان المعنى الاصطلاحي للكفر، فمنهم من اختصره بأنه" نقيض الإيمان" ومنهم ابن الأثير[١] ، ومنهم من توسع في تعريفه فعرفه بأنه "جحد الربوبية وجحد نبوة نبي من الأنبياء صحت نبوته في القرآن، أو جحد شيء مما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، مما صح عند جاحده بنقل الكافة، أو عمل شيء قام البرهان بأن العمل به كفر"[٢]

ومنهم من عرفه بأنه"عدم الايمان باتفاق المسلمين، سواء اعتقد نقيضه وتكلم به، أو اعتقد شيئا ولم يتكلم"[٣]

ومنهم من عرفه بأنه "جحود ماعلم أن الرسول جاء به سواء كان من المسائل التي تسمونها علمية أو عملية، فمن جحد ماجاء به الرسول –صلى الله عليه وسلم–بعد معرفته بأنه جاء به، فهو كافر في دق الدين وجله"[٤]

---

[١] النهاية في غريب الحديث والأثر ١٨٧/٤

[٢] الفصل لابن حزم ١١٨/٣، وينظر: فتاوى السبكي، علي السبكي ٥٨٦/٢.

[٣] مجموع الفتاوى لابن تيمية ٨٦/٢٠

[٤] مختصر الصواعق المرسلة لابن القيم ص٥٩٦

المبحث الأول

ثواب الكافر في الدنيا:

أي أن الكافر إذا عمل في الدنيا أعمالا حسنة من بر وصلة وعدل وإحسان وضيافة وتسهيل للخيرات وكانت تلك الأعمال مما لاتفتقر صحتها إلى النية، وتكون مطابقة للشرع مخلصا فيها فإنه ينتفع بها ويثاب عليها في الدنيا، وهذا من فضل الله تعالى وكرمه وعدله، وثوابه في الدنيا يكون بالرزق والصحة والذرية ونحو ذلك.[١]

وقد وضع أهل العلم ضابطا لحسنات الكافر وهو "مافعله متقربا به إلى الله مما لايفتقر صحته إلى النية، كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها"[٢]

ويخرج بهذا ماكان يفعله في الكفر من عبادات وقربات لغير الله كالصلاة والذبح وغيرذلك فهي عبادات محضة يشترط فيها الإيمان وإرادة وجه الله واتباع شرعه فلايثاب عليها لافي الدنيا ولافي الآخرة.

ويكون الجزاء الدنيوي بالتوسعة على الكافر في الرزق والصحة والذرية والذكر الحسن والثناء وغير ذلك كما سيأتي.

وقد دلّ على ذلك نصوص القرآن الكريم والسنة الصحيحة وفيها تصريح بأن الكافر ينتفع بها في الدنيا فقط.

ومن الأدلة على ذلك من القرآن:

قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠

---

[١] ينظر: جامع البيان، الطبري ٤٠٩/١٧، شرح النووي ١٥٠/١٧، الجامع لأحكام القرآن،القرطبي ١٤/٩، أضواء البيان، الشنقيطي ٨٣/٣

[٢] ينظر: المعلم، المازري ص٣٠٨، شرح النووي ١٥٠/١٧، روح المعاني٤٥٤/١٤

وقال تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإسراء: ١٨

وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود: ١٥

وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ الأحقاف: ٢٠

ومن الأدلة من السنة:

مارواه أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: ((إن الله لايظلم مؤمنا حسنة، يعطى بها في الدنيا، ويجزى بها في الاخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ماعمل بها لله في الدنيا حتى إذا أفضى إلى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها)) [١]

وفي رواية عن أنس عند مسلم: ((إن الكافر إذا عمل حسنة أطعم بها طعمة من الدنيا، وأما المؤمن فإن الله يدخر له حسناته في الآخرة ويعقبه رزقا في الدنيا على طاعته)). [٢]

وقد اختلف أهل التأويل فيمن نزلت الايات السابقة، هل نزلت في المؤمنين أم الكفار أم في المنافقين ام أنها مطلقة؟، وقد نقل ابن الجوزي والقرطبي هذا الخلاف. [٣]

ومع ذلك فإن لأهل العلم أقوال في تفسير الآيات السابقة وفيها التصريح بأنها في الكفار، وأن الكافر إنما ينال ثواب ماعمل من حسنات في الدنيا ومنها:

---

[١] أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ح ٢٨٠٨، ٤/٢١٦٢

[٢] أخرجه مسلم كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب جزاء المؤمن بحسناته في الدنيا وتعجيل حسنات الكافر في الدنيا ٤/٢١٦٢ح٢٨٠٨

[٣] ينظر: زاد المسير،ابن الجوزي ٢/٣٦٢، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٩/١٥.

قال مجاهد في آية هود:"من عمل عملا ممأأمر الله به من صلاة أوصدقة لايريد بها وجه الله أعطاه الله في الدنيا ثواب ذلك مثل ذلك " وقال أيضا:" ممن لايقبل منه جوزي به يعطى ثوابه"[١]

وقال الضحاك: "من عمل عملا صالحا في غير تقوى- يعني من أهل الشرك – أعطي على ذلك أجرا في الدنيا: يصل رحما، يعطي سائلا، يرحم مضطرا، في نحو هذا من أعمال البر، يعجل الله له ثواب عمله في الدنيا، ويوسع عليه في المعيشة والرزق ويقر عينه فيما خوّله ويدفع عنه مكارم الدنيا في نحو هذا وليس له في الاخرة من نصيب " [٢]

وقال ابن الجوزي: "ومن أراد الدنيا مؤثرا لها على الآخرة لأنه غير مؤمن بالآخرة يؤته منها وهو الذي قسم له وماله في الآخرة من نصيب لأنه كافر بها لم يعمل لها"[٣]

وقال القرطبي:"من أتى منهم بصلة رحم أو صدقة نكافيه بها في الدنيا بصحة الجسم وكثرة الرزق لكن لاحسنة له في الآخرة"[٤]

ورجح الشنقيطي أن قوله تعالى: قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا ﴾ الأحقاف: ٢٠

نزلت في الكفار فقال:"والتحقيق إن شاء الله في معنى هذه الآية هو أنها في الكفار وليست في المؤمنين الذين يتمتعون باللذات التي أباحها الله؛ لأنه تعالى ماأباحها لهم ليذهب بها حسناتهم"[٥]

وقال النووي في شرحه لحديث أنس –رضي الله عنه-: "وصرح في هذا الحديث بأن يطعم في الدنيا بماعمله من الحسنات أي بما فعله متقربا به إلى

---

[١] جامع البيان،الطبري ٢٦٤/١٥

[٢] جامع البيان ٢٦٥/١٥

[٣] زاد المسير، ابن الجوزي ٦٣/٤

[٤] الجامع لأحكام القرآن ١٤/٩.

[٥] أضواء البيان ٢٢٩/٧

الله تعالى مما لايفتقر صحته إلى النية كصلة الرحم والصدقة والعتق والضيافة وتسهيل الخيرات ونحوها "[١].

وقد أكد بعض أهل العلم أن هذا الثواب الدنيوي مقيد بالمشيئة كما تدل عليه آية الإسراء، فقد قال الطبري في تفسيره لها: "يعجل الله له في الدنيا مايشاء من بسط الدنيا عليه، أو تقتيرها لمن أراد الله أن يفعل ذلك به أو إهلاكه بمايشاء من عقوباته"[٢]

وخلاصة ما تقدم أن الله تعالى يثيب الكافر على أعماله الصالحة في الدنيا بالتوسعة عليه في الرزق والصحة والذرية والذكر الحسن والثناء وغير ذلك، وأن ذلك مقيد بمشيئة الله لمن أراد الله أن يثيبه من الكفار في الدنيا، وأن الآيات الدالة على ذلك -وإن اختلف المفسرون وتعددت أقوالهم فيمن نزلت- إلا أن في حديث مسلم دلالة صريحة على أن الكافر ينتفع بثواب أعماله الحسنة في الدنيا.

إشكال وجوابه:

وهو أنه إذا كانت الآيات السابقة قد دلت على أن الكافر يثاب على ماقام به من حسنات في الدنيا دون الآخرة، فإن هناك آيات أخرى تدل على بطلان عمل الكافر في الدنيا والآخرة معا، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ آل عمران: ٢١ - ٢٢

---

[١] شرح النووي ١٥٠/١٧، المجموع شرح المهذب ٤/٣

[٢] جامع البيان، الطبري ٤٠٩/١٧، أضواء البيان ٨٣/٣

والجواب عن هذا الاشكال:

أولا: أن من الكفار من يثيبه الله بعمله في الدنيا كما دلت الآيات والأحاديث ، ومنهم من لايثيبه الله تعالى، لأن الله خص الثواب للكافر في الدنيا بالمشيئة كما في قوله تعالى: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ ﴾ الإسراء: ١٨

فهي مخصصة لعموم قوله تعالى: ﴿ نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ هود: ١٥

،وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠

وجمهور العلماء على حمل العام على الخاص والمطلق على المقيد.

وقد ربط ابن كثير آية الشورى بآية الإسراء فقال: " ومن كان إنما سعيه ليحصل له شيء من الدنيا، وليس له إلى الآخرة همة البتة بالكلية، حرمه الله الآخرة والدنيا إن شاء أعطاه منها، وإن لم يشأ لم يحصل له لاهذه ولاهذه، وفاز هذا الساعي بالصفقة الخاسرة في الدنيا والآخرة"[1]

وقال ابن حجر : "فعلى هذا التقييد – يقصد التقييد بالمشيئة – في قوله تعالى﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ الإسراء: ١٨ – يحمل ذلك المطلق وكذا يقيد قوله﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ الشورى: ٢٠

وبهذا يندفع إشكال من قال قد يوجد بعض الكفار مقترا عليه في الدنيا غير موسع عليه من المال أو من الصحة أو من طول العمر؛بل قد يوجد من هو

---

[1] **تفسير ابن كثير ١٩٨/٧**

منحوس الحظ من جميع ذلك كمن قيل في حقه ﴿ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ ﴾ الحج: ١١ [١]

ثانيا: أن بطلان أعمالهم في الدنيا بمعنى أنه لم يعتد بها شرعا في عصمة دم ولاميراث ولانكاح ولاغير ذلك ولاتفتح لهم أبواب السماء ولاتصعد إلى الله تعالى ولاتدخر لهم في الأعمال النافعة ولاتكون في كتاب الأبرار في عليين وكفى بهذا بطلانا، أما مطلق النفع الدنيوي فهو عند الله كلا شيء فلاينافي بطلانها ..[٢]

اشكال آخر وجوابه:

وهو كيف نجمع بين ماسبق من الأحاديث الدالة على أن الكافر يثاب في الدنيا بالرزق والغنى، وبين قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَعۡرَضَ عَن ذِكۡرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةٗ ضَنكٗا وَنَحۡشُرُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَعۡمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤

والجواب أنه لاتعارض بينهما لما يأتي:

أولا: أن لأهل العلم أقوال في تأويل الموضع الذي يكون فيه المعيشة الضنك، فقال بعضهم أنه في الآخرة في جهنم ومنهم الحسن وقتادة.

ومنهم من أوله بأن له معيشة في الدنيا حراما وكسبا خبيثا لأن الحرام وإن اتسع فهو ضنك.ومنهم عكرمة والضحاك.

وقال آخرون أن المعيشة الضنك في الدنيا ومنهم ابن عباس.

وقال آخرون أن ذلك في البرزخ وهو عذاب القبر ومنهم ابن مسعود وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري ومجاهد [٣]

---

[١] ينظر: فتح الباري كتاب الرقاق باب المكثرون هم المقلون ٢٦١/١١، دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين الشنقيطي ص١٦٦

[٢] ينظر: دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، الشنقيطي ١٦٦-١٦٩

[٣] ينظر: تفسير مجاهد، مجاهد بن جبر المخزومي، ص٤٦٧، جامع البيان، الطبري ٣٩٤/١٨

ورجح الطبري القول بأن المقصود به عذاب القبر مستدلا بحديث أبي هريرة وفيه أن الرسول –صلى الله عليه وسلم– فسر المعيشة الضنك بعذاب القبر، فعن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ أنه قال:"أتدرون فيم أنزلت هذه الاية ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ طه: ١٢٤

أتدرون ماالمعيشة الضنك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: عذاب الكافر في قبره.. الحديث"[١]

واستدل أيضا بأن الله تعالى اتبع هذه الآية بقوله﴿ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٢٧﴾ ﴾ طه: ١٢٧

فكان معلوما بذلك أن المعيشة الضنك التي جعلها الله لهم قبل عذاب الآخرة. [٢]

وهناك من جمع بين الأقوال بأنه لاينافي ذلك شمول المعيشة الضنك لمعيشته في الدنيا.. فتكون معيشته ضنكا في الدنيا والبرزخ والآخرة.

قال ابن القيم: " وفسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر،ولاريب أنه من المعيشة الضنك، والآية تتناول ماهو أعم منه، وإن كانت نكرة في سياق الاثبات، فإن عمومها من حيث المعنى..... فالمعيشة الضنك لازمة لمن أعرض عن ذكر الله الذي أنزله على رسوله–صلى الله عليه وسلم– في دنياه وفي البرزخ ويوم معاده."[٣]

ثانيا: وعلى القول بأن المعيشة الضنك في الدنيا فإنه لاتعارض بين أن يعطى الكافر مايعطى من الرزق والتوسع في الدنيا وبين الضنك، وقد بين ابن كثير

---

[١] أخرجه أبويعلى في مسنده ٥٢١/١١ح ٦٦٤٤، وابن حبان في صحيحه ٣٩٢/٧، والآجري في الشريعة ١٢٧٣/٣ح٨٤٠، وقال الهيثمي في المجمع: رواه أبويعلى وفيه دراج وحديثه حسن واختلف فيه.مجمع الزوائد٥٥/٣، وحسنه الألباني في التعليقات الحسان ١٠٢/٥.

[٢] جامع البيان ٣٩٤/١٨

[٣] الجواب الكافي ص ١٢٠ وينظر: أضواء البيان، الشنقيطي ١٢٧/٤.

معنى ذلك بقوله "فلاطمأنينة له ولاانشراح لصدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ماشاء وأكل ماشاء، وسكن حيث شاء، فإن قلبه مالم يخلص إلى اليقين والهدى فهو في قلق وحيرة وشك، فلايزال في ريبه يتردد فهذا من ضنك المعيشة"[١]

وقال ابن القيم:" فالمعرض عنه له من ضنك المعيشة بحسب إعراضه، وإن تنعم في الدنيا بأصناف النعم، ففي قلبه من الوحشة والذل والحسرات التي تقطع القلوب والأماني الباطلة والعذاب الحاضر مافيه، وإنما يواريه عنه سكرات الشهوات والعشق وحب الدنيا والرياسة، وإن لم ينضم إلى ذلك سكر الخمر، فسكر هذه الأمور أعظم من سكر الخمر،فإنه يفيق صاحبه ويصحو، وسكر الهوى وحب الدنيا لايصحو صاحبه إلا إذا كان صاحبه في عسكر الأموات"[٢]

---

[١] تفسير ابن كثير ٣٢٣/٥، تيسير الكريم الرحمن، السعدي٥١٥/١

[٢] الجواب الكافي ص ١٢٠

المبحث الثاني:

ثواب الكافر في الآخرة

إن ما يقدمه الكافر من أعمال حسنة في الدنيا –مهما بلغت– ومات على كفره فإنه لا ينتفع بها في الآخرة، أي لاتمنع عنه العذاب ولا تخرجه من النار، وهذا أمر مقطوع به كما دلت عليه الآيات والأحاديث واجماع أهل العلم.

إلا أنه وقع خلاف بين أهل العلم في هل الأعمال الحسنة تخفف العذاب عن الكافر أم لا؟ أي هل يثاب الكافر الذي قدم أعمالا صالحة في دنياه بتخفيف العذاب عنه؟

في هذه المسألة قولان، وكلاهما متفقان على أن أعمال الكافر لاينتفع بها في إخراجه من النار، فمحل الخلاف بينهما في هل تنفع في تخفيف العذاب أم لا؟

قال ابن رجب: "وأما الكفار إذا كان لهم حسنات في الدنيا من العدل والإحسان إلى الخلق فهل يخفف عنهم بذلك من العذاب في النار أم لا؟ هذا فيه قولان للسلف وغيرهم " [١]

وفيما يأتي عرض للقولين:

القول الأول: وهو القول بأن الكافر لاينتفع بأعماله الصالحة في التخفيف من عذابه، وهو قول السلف رحمهم الله.

وقد استدلوا بالآيات التي فيها أن أعمال الكفار تحبط في الآخرة،وأنه لاوزن ولاقيمة لها، وكذلك الآيات التي فيها تمثيل لأعمال الكفار بالسراب والرماد وغير ذلك مما يفيد عدم انتفاع الكافر في الآخرة بما قدمه من أعمال في دنياه، وكذلك الآيات التي تدل على أن الإيمان شرط في قبول العمل، وأن يكون خالصا لله تعالى، وكذلك الآيات التي فيها نفي تخفيف العذاب على الكفار.

---

[١] التخويف من النار ص١٨٢

فمن الآيات الدالة على حبوط عمل الكفار قوله تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان: ٢٣

وقوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ هود: ١٥ - ١٦

وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾ ﴾ البقرة: ٢١٧

ومن الآيات الدالة على تمثيل أعمال الكفار بالرماد والسراب والريح قوله تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا۟ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴿١٨﴾ ﴾ إبراهيم: ١٨

وقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ ﴾ النور: ٣٩

وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ **آل عمران: ١١٧**

والريح الصر هي الشديدة البرد التي والتي يحرق بردها مايمر عليه من الزرع والثمار فأهلكت ذلك الزرع وأيبسته.[1]

---

[1] الأمثال في القرآن، ابن القيم ص٥٣

ومن الايات التي فيها أن الإيمان شرط في قبول العمل قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٩

وكذلك الآيات التي فيها نفي تخفيف العذاب عن الكفار ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ فاطر: ٣٦

وقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ الزخرف: ٧٤ - ٧٥

وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ النحل: ٨٥

ويقول تعالى﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ ﴾ البقرة: ٨٦

كما استدلوا بعدد من الأحاديث منها:

حديث عائشة-رضي الله عنها- قلت: يارسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: ((لاينفعه إنه لم يقل يوما: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[1] .

وكذلك حديث أنس-رضي الله عنه- وفيه: ((حتى إذا أفضى إلى الاخرة لم تكن له حسنة يجزى بها))[2]

وكذلك حديث عدي بن حاتم -رضي الله عنه- قال: قلت: يارسول الله، إن أبي كان يصل الرحم، ويفعل كذا وكذا، ويفعل كذا. قال: ((إن أباك أراد أمرا فأدركه)) يعني الذكر[1]

---

[1] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على الكفر لاينفعه عمل ١/١٩٦ح٢١٤

[2] سبق تخريجه ص١١

وقد اختار ابن عطية هذا القول[٢] .

وحكى القاضي عياض الاجماع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم ولايثابون عليها بنعيم ولابتخفيف عذاب[٣].

وكذلك النووي الذي حكى الاجماع على ذلك فقال: "أجمع العلماء على أن الكافر الذي مات على كفره لا ثواب له في الاخرة ولايجازي فيها بشيء من عمله في الدنيا متقربا إلى الله تعالى"[٤]

كما أن في تفاسير أهل العلم وتقريراتهم مايفيد عدم انتفاع الكافر بحسناته في الآخرة ومن ذلك:

قال قتادة: "من كانت الدنيا همه ونيته وطلبته جازاه الله بحسناته في الدنيا،ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة يعطى بها جزاء"[٥]

وقال البغوي في تفسير ﴿ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان: ٢٣: أي باطلا لاثواب له؛لأنهم لم يعملوه لله عز وجل.[٦]

وقال ابن الجوزي في آية سورة إبراهيم: "قال المفسرون: ومعنى الاية أن كل مايتقرب به المشركون يحبط ولاينتفعون به كالرماد الذي سفته الريح فلايقدر على شيء منه فهم لايقدرون مما كسبوا في الدنيا على شيء في الاخرة أي لايجدون ثوابه. ذلك هو الضلال البعيد من النجاة"[٧].

وقال القرطبي في آية النور: "وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار يعولون على ثواب أعمالهم فإذا قدموا على الله تعالى وجدوا ثواب أعمالهم محبطة بالكفر،

---

[١] أخرجه أحمد في المسند ٢٠٠/٣٠ برقم ١٨٢٦٢، وابن حبان في صحيحه ٤١/٢ برقم ٣٣٢، وقال الهيثمي:رواه أحمد ورجاله ثقات، والطبراني في الكبير، وحسنه الألباني، التعليقات الحسان ٣٦٦/١

[٢] ينظر: المحرر الوجيز ٤٤/٣

[٣] ينظر: إكمال المعلم بفوائد مسلم، القاضي عياض اليحصبي٥٩٧/١

[٤]شرح النووي ١٥٠/١٧

[٥] تفسير ابن كثير ٢٦٩/٤

[٦] معالم التنزيل ٤٤١/٣

[٧] زاد المسير ٥٠٩/٢، وينظر القرطبي ٤٨٧/٤

أي لم يجدوا شيئا كما لم يجد صاحب السراب إلا أرضا لاماء فيها فهو يهلك او يموت"[١].

وقال شيخ الإسلام في آية الاسراء" ولما ذكر إرادة الاخرة قال﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ الإسراء: ١٩

وذلك لأن إرادة الاخرة وإن استلزمت عملها فالثواب إنما هو على العمل المأمور به لا كل سعي ولابد مع ذلك من الإيمان" [٢]

وقال ابن القيم:"فشبه تعالى أعمال الكفار في بطلانها وعدم الانتفاع بها برماد مرت عليه ريح شديدة في يوم عاصف ، فشبه سبحانه أعمالهم في حبوطها وذهابها باطلا كالهباء المنثور لكونها على غير أساس من الإيمان والإحسان وكونها لغير الله عز وجل وعلى غير أمره برماد طيرته الريح العاصف فلايقدر صاحبه على شيء منه وقت شدة حاجته إليه فلذلك قال:﴿ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَيْءٍ ﴾ إبراهيم: ١٨

لايقدرون يوم القيامة مما كسبوا من أعمالهم على شيء، فلايرون له أثرا من ثواب ولافائدة نافعة،فإن الله لايقبل من العمل إلا ماكان خالصا لوجهه موافقا لشرعه "[٣] الأمثال في القرآن ص٤٣، وقال ابن كثير في تفسير ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ الفرقان: ٢٣ : "فأخبر أنه لايتحصل لهؤلاء المشركين من الأعمال التي ظنوا أنها منجاة لهم شيء وذلك لأنها فقدت الشرط الشرعي إما الإخلاص فيها وإما المتابعة لشرع الله، وقد تجمعهما معا فتكون أبعد من القبول حينئذ ولهذا قال تعالى﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ ﴾ الفرقان: ٢٣[٤]

---

[١] الجامع لأحكام القرآن ٢٨٣/١٢

[٢] مجموع الفتاوى ٧٤٤/١٠

[٣] اعلام الموقعين ١٣١/١

[٤] تفسير القرآن العظيم ١٠٣/٦

وقال في قوله تعالى: ﴿ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ البقرة: ٨٦: "أي لايفتّر عنهم ساعة واحدة"[١]

وقال الشنقيطي في قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾ الإسراء: ١٩

: "وفي الآية الدليل على أن الأعمال الصالحة لاتنفع إلا مع الإيمان"[٢]

وكذلك في أقوالهم وشروحهم للأحاديث مايفيد ذلك أيضا:

فقد قال الطحاوي: "ففي هذا الحديث من جواب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عائشة في ابن جدعان لما سألته عنه ووصفت له من أحواله التي كان عليها في الجاهلية ماوصفته له، ومن جوابه لها في ذلك أن ذلك غير نافعه ولم يزدها على ذلك شيئا."[٣]

وقال في حديث عدي بن حاتم:"ففي هذا الحديث من جواب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عدياً لما سأله عن أبيه، ووصفه له ماوصفه له من الأحوال التي كان عليها، ومن جواب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– له عند ذلك بما ذكر من جوابه إياه له في هذا الحديث، وأن الذي كان من أبيه إنما كان لمعنى قد بلغه، ولم يتجاوز به رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عن ذلك"[٤]

وقال ابن تيمية: "بل هو سبحانه يرزق المؤمن والكافر، والبر والفاجر، وقد يجيب دعائهم ويعطيهم سؤلهم في الدنيا ومالهم في الآخرة من خلاق"[٥]

وعندما ذكر ابن كثير ماكان من أمر حاتم الطائي من المكارم والإحسان قال:" إلا أن نفع ذلك في الآخرة معذوق –أي معلق– بالإيمان وهو ممن لم يقل يوما من الدهر رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين "[٦]

---

[١] المرجع السابق ٣٢٠/١

[٢] أضواء البيان، الشنقيطي ٨١/٣، وينظر ٢٤٦/٢

[٣] شرح مشكل الاثار ١٤٩/١١

[٤] المرجع السابق ١٤٩/١١

[٥] اقتضاء الصراط المستقيم ٣١٥/٢

[٦] البداية والنهاية ٨٠/٥

وقال ابن رجب: "وعذاب الكفار في النار لايفتر عنهم ولاينقطع ولايخفف بل هو متواصل أبدا "[١]

القول الثاني: أنه يخفف عنهم بحسناتهم من العذاب على ذنوبهم دون الكفر، وممن ذهب إلى هذا القول سعيد بن جبير وأبو بكر البيهقي والقرطبي ونقله المازري من المالكية وابن بطال عن المهلب وغيرهم[٢]

واستدلوا بمايلي:

مارواه الأسود بن شيبان عن أبي نوفل قال قالت عائشة: يارسول الله أين عبد الله بن جدعان؟قال: ((في النار)) فجزعت عائشة واشتد عليها فلما رأى رسول الله –صلى الله عليه وسلم– ذلك قال: ((ياعائشة مايشتد عليك من هذا؟)) قالت: بأبي أنت وأمي يارسول الله إنه كان يطعم الطعام ويصل الرحم قال: ((إنه يهون عليه بما قلت))[٣].

واستدلوا بحديث عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((ماأحسن من محسن كافر أو مسلم إلا أثابه الله عزوجل في عاجل الدنيا أو ادخر له في الاخرة)) قلنا: يارسول الله ماإثابة الكافر في الدنيا؟ قال: ((إن كان قد وصل رحما أو تصدق بصدقة أو عمل حسنة أثابه الله المال

---

[١] التخويف من النار ص١٩٤

[٢] ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال ٤٣٨/٣، البعث والنشور للبيهقي ٦٢، المعلم بفوائد مسلم للمازري ص٣٠٩، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ١٦٢/٨، فتح الباري لابن حجر ٤٣٢/١١.

[٣] أخرجه أبوداود في المراسيل كتاب الطهارة، باب في جامع الصدقة ص١٤٣، وقال الأرنؤوط: رجاله ثقات رجال مسلم. وقال ابن منده: رواه غير حفص مرسلا، الإيمان ٨٩٢/٢. وقال ابن رجب الحنبلي: خرجه الخرائطي في مكارم الأخلاق وهو مرسل. التخويف من النار ص١٨٣.والحديث له أصل ثابت عند مسلم وغيره لكن ليس فيه قوله ((انه يهون عليه بما قلت)) والتي لم تثبت إلا من طريق مرسل.

والولد والصحة وأشباه ذلك)) قلنا: فما إثابة الكافر في الاخرة؟ قال: ((عذابا دون العذاب)) ثم تلا: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦ [١]
كما استدلوا بالأحاديث الواردة في تخفيف العذاب عن أبي طالب بإحسانه إلى النبي -صلى الله عليه وسلم-.
واستدلوا أيضا بالأثر المروي في تخفيف العذاب عن أبي لهب لعتقه جارية عنده اسمها ثويبة وفيه ((وثويبة مولاة لأبي لهب وكان أبولهب أعتقها فأرضعت النبي -صلى الله عليه وسلم- فلما مات أبولهب أريه بعض أهله بشر حيبة، قال له:ماذا لقيت؟ قال أبو لهب: لم ألق بعدكم غير أني سقيت في هذه بعتاقتي ثويبة))[٢]
قال البيهقي في قوله -عليه السلام-: ((إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين))[٣]: "وهذا لاينفي تحقيق أبي طالب بأنه ينفعه ماصنع إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- في التخفيف عنه من عذابه، وقد يجوز أن يكون الحديث وما وردمن الآيات والأخبار في بطلان خيرات الكافر إذا مات على كفره، ورد في أنه لايكون لها موقع التخليص من النار وإدخال الجنة، لكن يخفف عنه من عذابه الذي يستوجبه على جنايات ارتكبها سوى الكفر بما فعل من الخيرات والله أعلم "[٤]
وقال القاضي المهلب: " ولعل حكيما لو مات على جاهليته أن يكون ممن يخفف عنه من عذاب النار كما جاء في أبي طالب أنه أخف أهل النار عذابا.."[٥]

---

[١] أخرجه البزار في مسنده٤/٢٨٤برقم ١٤٥٤، والحاكم في المستدرك ٢/٢٧٨ح٣٠٠١، وقال: هذا حديث صحيح الاسناد، والخرائطي في مكارم الأخلاق ص٩٥ برقم ١٣٢، والبيهقي في كتاب البعث والنشور وقال: في إسناده نظر ص٦٢ برقم ١٥، وقال الذهبي والخبر منكر. ميزان الاعتدال٣/٣٠برقم ٥٤٨٠، وضعّف ابن حجر سنده، فتح الباري ١١/٤٣٢
[٢] أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب (وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم) النساء ٧،٢٣/٩ح٥١٠١
[٣] سبق تخريجه ص٢٠
[٤] البعث والنشور ٦٢
[٥] شرح صحيح البخاري لابن بطال ٣/٤٣٨

وبعد أن أورد ابن حجر حكاية القاضي عياض الاجماع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم في الآخرة أردف قائلا: "قلت وهذا لايرد الاحتمال الذي ذكره البيهقي فإن جميع ماورد من ذلك فيما يتعلق بذنب الكفر، وأما ذنب غير الكفر فما المانع من تخفيفه "[١] وقال في موضع آخر"وعلى تقدير ثبوته فيحتمل أن يكون التخفيف فيما يتعلق بعذاب معاصيه بخلاف عذاب الكفر"[٢]

يتضح مما سبق ايراده من أقوال أنهم استندوا في قولهم بانتفاع الكافر بالتخفيف على حجج وتأويلات معينة للنصوص ومنها:

أنهم أولوا الأدلة التي تفيد حبوط عمل الكفار في الآخرة بأنها لاتفيد في إخراجهم من النار وليس في التخفيف عنهم من العذاب كما في قول البيهقي، وجعلوا أدلة التخفيف التي ساقوها مخصصة لأدلة حبوط أعمال الكفار كما في قول المهلب والبيهقي.

وعند مقارنة هذا القول بالقول الأول نجد أنه لايخلو من اعتراضات والتي منها.

أولا: أن هذه المسألة من مسائل الغيب التي يتوقف العلم بها على ماورد في النص، ونصوص الكتاب والسنة صريحة في نفي انتفاع الكافر بأعماله في الآخرة وقد تقدم ذكرها في القول الأول، كما أن الله سبحانه وتعالى عندما أخبرنا أن الكفار لاينتفعون بأعمالهم وأنها لاقيمة لها ولاوزن يوم القيامة وأن مآلها الحبوط لم يفرق بين كونها لاتفيد في إخراجهم من النار أو التخفيف عنهم، بل جاءت مطلقة دون تقييد.

ثانيا:بل جاء في القرآن آيات فيها التصريح بعدم التخفيف سواء عن كفرهم أم عن معاصيهم وجناياتهم كما تقدم.

ثالثا:أما الأحاديث التي استدلوا بها فقد تكلم فيها العلماء وحكموا عليها بالضعف، وأصح ماستدلوا به حديث ابن جدعان –برواياته الصحيحة– ولكن

---

[١] فتح الباري ٩/١٤٥

[٢] المرجع السابق ١١/٤٣٢

ليس فيها عبارات تهوين العذاب عن ابن جدعان، وإنما ورد ذلك في الرواية الضعيفة فلايحتج بها.

وأما استدلالهم بحديث تخفيف العذاب عن أبي طالب فقد أجيب عنه بأنه من خصائص النبي –عليه السلام– في شفاعته لعمه وليست عامة في الكفار.

وقد استدل شيخ الإسلام بهذا الحديث قائلا: "فإذا كان في الكفار من خف كفره بسبب نصرته ومعونته فإنه تنفعه شفاعته في تخفيف العذاب عنه لا في اسقاط العذاب عنه بالكلية "[١]

وقال ابن رجب:"وهؤلاء –يقصد نفاة التخفيف–جعلوا تخفيف العذاب عن أبي طالب من خصائصه بشفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم– له، وجعلوا هذه الشفاعة من خصائص النبي –صلى الله عليه وسلم–لايشركه فيها غيره".[٢]

وذلك لأن نصرته للنبي –صلى الله عليه وسلم– إنما تنفعه من جهة أنها تصير سببا لشفاعته له لامن جهة أنه يثاب عليها، أويخفف عنه بها، يشعر به قوله –صلى الله عليه وسلم–: ((ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار))[٣]

وعلى التسليم بالقول بتخفيف العذاب على من أحسن من الكفار، فإنه يترتب عليه أن لا معنى لاختصاص النبي –صلى الله عليه وسلم– بالشفاعة بتخفيف العذاب عن بعض الكفار إذا كانت أعمالهم في الدنيا سببا في تخفيف العذاب عنهم في الآخرة، أي لاحاجة لأبي طالب بشفاعة النبي –عليه السلام– طالما أن أعماله تخفف عنه العذاب!

وأما استدلالهم بالأثر في انتفاع أبي لهب: فالخبر مرسل ولم يذكر عروة من حدثه به، وعلى تقدير أن الخبر موصول فإن الخبر رؤية منامية لايحتج بها، ولعل الرائي لم يسلم فلاحجة فيما قال، ولو صح الخبر فإنه يحتمل أن يكون

---

[١] مجموع الفتاوى ١/١٤٤

[٢] التخويف من النار والتعريف بحال اهل البوار، ابن رجب الحنبلي ص ١٨٤، تفسير ابن رجب الحنبلي ٢/٥٣٤-٥٣٦

[٣] رسالة في طاعة الكافر، الأيديني، ص٢٧، والحديث أخرجه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب قصة أبي طالب ٥/٥٢ ح٣٨٨٣

مايتعلق بالنبي–صلى الله عليه وسلم– خاص بالنبي–صلى الله عليه وسلم–.[١]

رابعا: أن شرط قبول العمل والإثابة عليه في الآخرة عند الله أن يكون مع الإيمان بالله وإرادة وجه الله تعالى به،كما دلت الآيات السابقة، وقد قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ ﴾ المائدة: ٢٧

والأعمال التي قدمها الكفار في دنياهم لم تكن مصحوبة بالإيمان ولم يريدوا بها وجه الله.

وقد بيّن ذلك شيخ الإسلام عندما عقد مقارنة بين ما عمل أبو طالب وماعمل أبوبكر للنبي –صلى الله عليه وسلم– فقال:"ومما يبين الحب لله والحب لغير الله أن أبابكر–رضي الله عنه– كان يحب النبي –صلى الله عليه وسلم– مخلصا لله،وأبو طالب عمه كان يحبه وينصره لهواه لالله ، فتقبل الله عمل أبي بكر وأنزل فيه قَالَ تَعَالَىٰ:﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ الليل: ١٧ – ٢١

وأما أبوطالب فلم يتقبل منه ، فأبوبكر لم يطلب أجره وجزاءه من الخلق : لامن النبي –صلى الله عليه وسلم– ولامن غيره ، بل آمن به وأحبه وكلأه وأعانه بنفسه وماله متقربا بذلك إلى الله وطالبا الأجر من الله "[٢]

خامسا: أن القول بإثابة الكفار على أعمالهم بتخفيف العذاب عنهم فيه خرق لما أجمع عليه أهل العلم والذي نقله النووي والقاضي عياض كما تقدم.

وهنا لابد من التنبيه على أن نفي التخفيف لايعني استواء الكفار في منازلهم في النار فكما أن الجنة درجات فإن النار دركات ، وقد نبه القاضي عياض إلى ذلك بعد حكايته الاجماع على أن الكفار لاتنفعهم أعمالهم –والذي سبق إيراده– فقال: "لكنهم بإضافة بعضهم للكفر كبائر المعاصي ، وأعمال الشر ،

---

[١] ينظر: فتح الباري، ابن حجر ١٤٥/٩، عمدة القاري، العيني،٩٥، ٢٠

[٢] مجموع الفتاوى ٣٢١/١٨

وأذى المؤمنين، وقتل الأنبياء والصالحين، يزدادون عذابا، كما قال تعالى﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ ﴾ المدثر: ٤٢

الآيات، وكذلك الكافر يعذب بكفره ، ثم يزداد إجرامه وإفساده في الأرض وعتوه وكثير إحداثه في البلاد والعباد فذاك يعذب أشد العذاب كما قيل في فرعون، ومن لم يكن بهذه السبيل عذب بقدر كفره، فكان أخف عذابا ممن عذب أشد العذاب ، فليس إذاً عذاب أبي طالب كعذاب أبي جهل وإن اجتمعا في الكفر ، ولا عذاب عاقر الناقة من قوم ثمود كعذاب غيره من قومه....فبهذا تتوجه خفة العذاب ، لا أنه على المجازاة على أفعال الخير"[١]

وقال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُواْ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ النحل: ٨٨

: "هذا دليل على تفاوت الكفار في عذابهم كما يتفاوت المؤمنون في منازلهم في الجنة ودرجاتهم كما قال تعالى﴿ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ﴾ الأعراف: ٣٨[٢]

إشكال وجوابه:

وهو كيف نجمع بين قوله تعالى في الكفار:﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ المدثر: ٤٨

وبين حديث تخفيف العذاب عن أبي طالب وقول الرسول ((لعله تنفعه شفاعتي يوم القيامة فيجعل في ضحضاح من نار يبلغ كعبيه يغلي منه دماغه))[٣]

والجواب: لا تعارض بينهما فعموم نفي شفاعة الشافعين للكفار في الآية يخرج منه شفاعة النبي –صلى الله عليه وسلم – في عمه؛ لأنها من خصائصه.

---

[١] إكمال المعلم بفوائد مسلم ٥٩٧/١

[٢] تفسير القرآن العظيم ٥٩٤/٤.

[٣] أخرجه مسلم في كتاب الإيمان،باب شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ١٩٤/١ح٣٦٠

ولابن حجر توجيه لهذا الاشكال عندما أجاب عنه بجوابين:

الأول: أن شفاعته -عليه الصلاة والسلام- في عمه أبي طالب من خصائصه.

والثاني: أن معنى المنفعة في الآية غير المنفعة في الحديث فالمنفعة في الآية هي الإخراج من النار وفي الحديث المنفعة بالتخفيف.[1]

---

[1] **فتح الباري ٤٣١/١١**

المبحث الثالث

ثواب الكافر إن أسلم.

جاء في النصوص الشرعية التصريح بأن الإسلام يجب ماقبله، وأن الله يغفر لمن أسلم كل ماسلف منه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ الأنفال: ٣٨

وقوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان: ٧٠

وقوله عليه الصلاة والسلام: ((التائب من الذنب كمن لاذنب له))[١]

وقوله عليه السلام: ((إذا أسلم العبد فحسن إسلامه، يكفر الله عنه كل سيئة كان زلفها، وكان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها))[٢]

وقد نقل العلماء الاجماع على ذلك مستندين على ماسبق من الأدلة، ومنهم ابن عبدالبر حيث قال:"وقد أجمع علماء المسلمين على أن الكفار إذا انتهوا وتابوا من كفرهم غفر لهم كل ماسلف وسقط عنهم كل ماكان لزمهم في حال الكفر من حقوق الله عزوجل وحقوق المسلمين "[٣]

وقال شيخ الإسلام:" والمشرك إذا تاب غفر الله له شركه باتفاق المسلمين كما قال تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٥﴾ ﴾ التوبة: ٥

---

[١] أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر التوبة١٤١٩/٢ ح ٤٢٥٠، والطبراني في معجمه، باب العين ١٥٠/١٠ ح١٠٢٨١، وقال ابن حجر: سنده حسن،فتح الباري ٤٧١/١٣، وحسنه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣٤٤٦

[٢] أخرجه البخاري في كتاب الإيمان باب حسن إسلام المرء،١٧/١ح٤١

[٣] الاستذكار ٥٥١/٧

وفي الأخرى: ﴿ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ ﴾ التوبة: ١١"[١]

ولم يخالف في هذا أحد من السلف.

وماسبق ذكره من الأدلة يستدل بها في باب العقاب، أي لايعاقب الكافر على ذنبه ولايؤاخذ على مافعل من السيئات إذا أسلم.

أما في باب الثواب فإن الكافر إذا عمل أعمالا حسنة حال كفره ثم أسلم هل يثاب على ما قدم قبل إسلامه؟ بمعنى أنه إذا كان الكافر الذي أسلم قد غفر له ذنبه، فماذا عن ثواب حسناته التي قدمها قبل إسلامه؟

في المسألة قولان:

القول الأول: أنه يثاب على مافعل قبل إسلامه، وهو قول النووي، وإبراهيم الحربي وابن بطال وابن حزم والقرطبي وابن تيمية وابن القيم، وابن المنير، وابن رجب، وابن حجر، وغيرهم.[٢]

ومما استدلوا به ماجاء في تبديل السيئات إلى حسنات لمن آمن من الكفار، وهو قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان: ٧٠

قال ابن رجب:" وقد وردت نصوص أخر تدل على أن الكافر إذا أسلم وحسن إسلامه فإنه تبدل سيئاته في حال كفره حسنات، ويدل على أن التائب من ذنب تبدل سيئاته قبل التوبة بالتوبة حسنات كما دلت عليه الآية في سورة الفرقان"[٣]

واستدلوا أيضا بما روي عن حكيم بن حزام –رضي الله عنه–قال: قلت: يارسول الله، أرأيت أشياء كنت أتحنث بها في الجاهلية من صدقة أو

---

[١] مجموع الفتاوى ٦٨٣/٧

[٢] ينظر: فتح الباري ١٠٠/١، شرح ابن بطال ٤٣٧/٣، مجموع الفتاوى ٢٨٣/٢١، شرح النووي ١٥٠/١٧، مدارج السالكين ٢٣٣/١، المحلى ٣٩/١، الجامع لأحكام القرآن ٧٨/١٣

[٣] فتح الباري لابن رجب ١٦٠/١

عتاقة،وصلة رحم،فهل فيها من أجر؟ فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: ((أسلمت على ماأسلفت من خير))[١]

وبحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: ((إذا أسلم العبد فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان أزلفها، ومحيت عنه كل سيئة كان أزلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص،الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عز وجل عنها))[٢]

واستدل ابن حجر بحديث عائشة في ابن جدعان وقول النبي –عليه السلام–: ((إنه لم يقل يوما رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين)) فقال:"فدل على أنه لو قالها بعد أن أسلم نفعه ماعمله في الكفر"[٣]

واستدل ابن رجب بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾ الأنفال: ٧٠

ووجه استدلاله في أن الآية تدل على أنه إذا أصيب الكافر بمصيبة في حال كفره ثم أسلم فإنه يثاب على مصيبته، ولإن يثاب على ماسلف منه من أعماله الصالحة أولى فيثاب على الصبر عليها والرضى بها"[٤]

وفي الحديث: ((جاء شاب فقام بين يدي رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال بأعلى صوته :يارسول الله، أرأيت من لم يدع سيئة إلا عملها، ولاخطيئة إلا ركبها،ولاأشرف له سهم فما فوقه إلا اقتطعه بيمينه، ومن لو قسمت خطاياه على أهل المدينة لغمرتهم ؟ فقال النبي–صلى الله عليه وسلم–

---

[١] أخرجه البخاري في كتاب الزكاة،باب من تصدق في الشرك ثم أسلم، ٢/١١٤ح ١٤٣٦

[٢] أخرجه النسائي في سننه في كتاب الإيمان وشرائعه،باب حسن إسلام المرء٨/١٠٥ح٤٩٩٨، والبيهقي في شعب الإيمان، باب الدليل على أن الإيمان والإسلام عبارتان عن دين واحد ١/١٢٣ برقم ٢٤.

وقد تقدم ذكر حديث البخاري وقد سقط منه قوله :((كتب الله له كل حسنة كان أزلفها))، وقد ثبتت الزيادة في طرق أخرى ذكر ابن بطال أنها تسعة طرق. ينظر:شرح صحيح البخاري ١/٩٨

[٣] فتح الباري ١/١٠٠

[٤] فتح الباري لابن رجب ١/١٦١

((أسلمت؟))أو((أنت مسلم؟)) قال: أما أنا فأشهد أن لاإله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ،قال :((اذهب فقد بدّل الله سيئاتك حسنات)) قال: يارسول الله وغدراتي وفجراتي؟ قال: ((وغدراتك وفجراتك)) ثلاثا، فولى الشاب وهو يقول: الله أكبر...الحديث[١]

وقد رجح كثير من أهل العلم هذا القول فقد قال النووي: "وأما إذا فعل الكافر مثل هذه الحسنات ثم أسلم فإنه يثاب عليها في الآخرة على المذهب الصحيح"[٢]

وقال ابن تيمية:"وإن ماتوا على الإيمان فهل يثابون على مافعلوه في الكفر؟ فيه قولان مشهوران، والصحيح أنهم يثابون على ذلك"[٣]

وقال ابن رجب:" فلا يستنكر أن يثاب عليها بعد إسلامه في الآخرة؛ لأن المانع من إثابته عليها في الآخرة هو الكفر وقد زال"

وقال السيوطي في حديث حكيم بن حزام:"قال المحققون هو على ظاهره وأن الكافر إذا أسلم يثاب على مافعله من الخير في حال الكفر"[٤]

وقال ابن حجر: "ويحتمل أن يكون القبول يصير معلقا على إسلامه فيقبل ويثاب إن أسلم وهذا قوي وقد جزم بما جزم به النووي إبراهيم الحربي وابن بطال وغيرهما من القدماء والقرطبي وابن المنير من المتأخرين "[٥]

وعلق السندي على حديث أبي سعيد الخدري بقوله:" وهذا الحديث يدل على أن حسنات الكافر موقوفة، إن أسلم تقبل وإلا ترد"[٦]

---

[١] أخرجه الطبراني في معجمه، باب السين ٥٣/٧ برقم ٦٣٦١، ٣١٤/٧ برقم ٧٢٣٥، وقال الحافظ هذا حديث حسن صحيح غريب، الأمالي المطلقة ص١٤٥، وصححه الألباني، صحيح الترغيب والترهيب ١٢٦/٣برقم ٣١٦٤

[٢] شرح النووي ١٥٠/١٧

[٣] مجموع الفتاوى ٢٨٣/٢١

[٤] الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج ١٤١/١

[٥] فتح الباري ٩٩/١-١٠٠

[٦] حاشية السندي على سنن النسائي ١٠٦/٨

وعلق ابن رجب على حديث أبي سعيد الخدري بقوله:"والمراد بالحسنات والسيئات التي كان أزلفها: ماسبق منه قبل الإسلام، وهذا يدل على أنه يثاب بحسناته في الكفر إذا أسلم، وتمحى عنه سيئاته إذا أسلم لكن بشرط أن يحسن إسلامه"[١]

القول الثاني: أنها لا تنفعه وإن أسلم، وممن قال بذلك ابن رشد ونسب هذا القول للإمام مالك، والمازري والقاضي عياض، وبعض المتكلمين فقالوا:الأعمال في حال الكفر حابطة لاثواب لها بكل حال، وأولوا النصوص الصحيحة بتأويلات وصفت بأنها مستكرهة مستبعدة [٢]

واستدلوا بآيات حبوط عمل الكافر التي تقدم ذكرها، كما استدلوا بالنصوص التي تجعل الإيمان والنية شرطا في قبول العمل ومنها حديث ((إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امريء مانوى))[٣]

ووجه استدلالهم بهذا الحديث هوأنه إذا كانت الأعمال في الإسلام لاتنفع عامليها إلا بنيتهم بها لله عز وجل، وإذا عملوها لما سوى ذلك لم يكن لهم شيء من ذلك، فإن ماعملوه في الجاهلية من الخير دون إرادة الله عز وجل أحرى أن لا يثابوا عليها.[٤]

وقالوا في حديث حكيم بن حزام: ((أسلمت على ماأسلفت من خير)) بأنه ليس على ظاهره، حيث قال ابن رشد: "يحمل على أن ذلك الخير هو الخير الذي يناله في دنياه من المحمدة والشكر والثناء وينتفع به ولده من بعده "[٥] وقال

---

[١] جامع العلوم والحكم ٣١٧/١

[٢] المعلم للمازري ص٣٠٨، اكمال المعلم للقاضي عياض، فتح الباري لابن رجب ١٦٠/١

[٣] أخرجه البخاري في عدة مواضع منها في بدء الوحي،كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم–،٦/١ ح١

[٤] شرح مشكل الآثار ١٥٣/١١، البيان والتحصيل،محمد بن رشد القرطبي،٢٥١/١٧

[٥] البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، محمد بن رشد القرطبي ٢٥٢/١٧،

المازري: "فإن ظاهره خلاف ماتقتضي الأصول؛ لأن الكافر لايصح منه التقرب فيكون مثابا على طاعاته "[١]

وأولوه بتأويلات متعددة منها: أن يكون المعنى أنك اكتسبت طباعا جميلة وأنك تنتفع بذلك الطبع في الإسلام..

أو أن يكون المعنى أنك اكتسبت بذلك ثناء جميلا فهو باق عليك في الإسلام.

أو:أنه لايبعد أن يزاد في حسناته التي يفعلها في الإسلام ويكثر أجره لما تقدم له من الأفعال الجميلة"[٢]

وأضاف القاضي عياض:" وقيل معناه ببركة ماسبق لك من خير هداك الله إلى الإسلام.."[٣]

وقال الطحاوي في جواب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لحكيم بن حزام: "فذلك محتمل أن يكون ذلك الخير هو الخير الذي يحمد عليه مثله على ماكان منه، وإن كان لا أجر له فيه "[٤] ولابن الجوزي قولا قريبا من قول الطحاوي.[٥] الطحاوي.[٥]

ومما سبق يتبين أن حجة هذا القول هو في شرط وجود النية في قبول العمل،وفي حبوط أعمال الكفار وبناء على ذلك فقد أولوا النصوص الصريحة في ثواب الكافر على ماعمل قبل إسلامه تأويلات مخالفة لما دلت عليه النصوص وتحريف لمعناها الظاهر بلادليل عليها ولاقرينة تؤيدها.

وقد رد عليهم بعض أهل العلم ومنهم النووي الذي قال بعد نقله قول المازري:"الصواب الذي عليه المحققون أن الكافر إذا فعل أفعالا جميلة كالصدقة وصلة الرحم ثم أسلم ومات على الإسلام أن ثواب ذلك يكتب له، وأما دعوى أنه مخالف للقواعد فغير مسلم لأنه قد يعتد ببعض أفعال الكافر في الدنيا ككفارة الظهار فإنه لايلزمه إعادتها إذا أسلم وتجزئه"

---

[١] المعلم بفوائد مسلم ٣٠٨/١ومابعدها،

[٢] المرجع السابق، ٣٠٨/١-٣٠٩

[٣]اكمال المعلم بفوائد مسلم ٤١٦/١، عمدة القاري ٢٥٣/١

[٤] شرح مشكل الآثار ١٥٢/١١

[٥] كشف المشكل من حديث الصحيحين ٦٥/٤

وقال أيضا:"فإن أقدم قائل على التصريح بأنه إذا أسلم لايثاب عليها في الآخرة رد قوله بهذه السنة الصحيحة "[١]

كما نقل ابن حجر ردا لابن المنير لقولهم بمخالفة القواعد حيث قال:"المخالف للقواعد دعوى أن يكتب له ذلك في حال كفره، وأما أن يضيف الله إلى حسناته في الإسلام ثواب ماكان صدر منه مما كان يظنه خيرا فلامانع منه كما لو تفضل عليه ابتداءً من غير عمل، وكما يتفضل على العاجز بثواب ماكان يعمل وهو قادر، فإذا جاز أن يكتب له ثواب مالم يعمل البتة جاز له أن يكتب له ثواب ماعمله غير موفى الشروط "[٢]

وأما استدلالهم بالنصوص التي تفيد حبوط عمل الكافر فقد أجيب عنه ب " أن هذا محمول على من مات على الكفر، والظاهر أنه لادليل على خلافه".[٣]

كما أجاب العلماء عن الاستشكال الوارد في قول الفقهاء بعدم صحة عبادة الكافر ولو أسلم بأن مرادهم أنه لايعتد له بها في أحكام الدنيا وليس فيه تعرّض لثواب الآخرة.[٤]

ولا شك أن لقبول أعمال من أسلم من الكفار حكما وغايات جليلة يتجلى فيها فضل الله ورحمته وعدله وأنه تعالى لايضيع أجر من أحسن قبل إسلامه، كما أن في ذلك ترغيب للكفار في الدخول إلى الإسلام.

اشكال وجوابه:

على ضوء ماتقدم من أدلة من قال بانتفاع الكافر بثواب ماقدم قبل إسلامه، وأن الأمر لايقتصر على ثواب ماقدم بل يشمل تبديل سيئاته إلى حسنات، كما

---

[١] شرح النووي ١٤٢/٢، الديباج على شرح مسلم بن الحجاج ١٤١/١،

[٢] فتح الباري ١٠٠/١

[٣] حاشية السندي على سنن النسائي ١٠٦/٨

[٤] شرح النووي ١٤٢/٢، الديباج على صحيح مسلم ١٤١/١، عمدة القاري ٢٥٣/١

في قوله تعالى: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾ الفرقان: ٧٠

فإنه يرد على ذلك إشكال وهو أن يكون من كثرت سيئاته أحسن حالا ممن قلت سيئاته، وقد أجاب عن هذا الاشكال بعض أهل العلم ومنهم ابن رجب الذي قال:" ان التبديل في حق من ندم على سيئاته وجعلها نصب عينيه فكلما ذكرها ازداد خوفا ووجلا وحياء من الله ومسارعة إلى الأعمال الصالحة المكفرة كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ الفرقان: ٧٠

وماذكرناه كله داخل في العمل الصالح ومن كانت هذه حاله، فإنه يتجرع من مرارة الندم والأسف على ذنوبه أضعاف ماذاق من حلاوتها عند فعلها، ويصير كل ذنب من ذنوبه سببا لأعمال صالحة ماحية له، فلايستنكر بعد هذا تبديل هذه الذنوب حسنات "[١]

[١] جامع العلوم والحكم ١/٣٢٢.

الخاتمة

لله الحمد والشكر على مامنّ به وتفضّل من إتمام هذا العمل، والذي أسأل الله تعالى أن يجعله من العلم الذي ينتفع به .

وقد تم التوصل إلى نتائج منها:

أن للكافر في انتفاعه بحسناته حالتان: الأولى إن لم يسلم فإنه ينتفع بها في الدنيا، ولاينتفع بها في الآخرة.

والثانية: إن أسلم فإنه ينتفع بها في الآخرة.

كما أظهر البحث مثالاحيا لطريقة أهل السنة والجماعة في موقفهم من مسائل الغيب ومنها مصير الناس في الآخرة، من حيث التسليم للنص الوارد فيها، وعدم الاتكاء على مايمليه العقل القاصر.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة العربيّة:

- الاستذكار، يوسف بن عبد الله بن عبدالبر،تحقيق:سالم محمد عطا،محمد علي معوض،دار الكتب العلمية،بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،محمد الأمين بن محمد الشنقيطي،دار الفكر، بيروت،١٤١٥هـ-١٩٩٥م
- إعلام الموقعين عن رب العالمين،محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية،تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم،دار الكتب العلمية،بيروت،ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م
- الأمالي المطلقة، أحمد بن حجر العسقلاني،تحقيق:حمدي بن عبد المجيد السلفي،المكتب الإسلامي،بيروت، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م
- الأمثال في القرآن، محمد بن قيم الجوزية،مكتبة الصحابة،مصر، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- الإيمان، محمد بن إسحاق بن منده، تحقيق:علي الفقيهي،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠٦هـ
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية،تحقيق:ناصر العقل،دار عالم الكتب، بيروت، ط٧ ،١٤١٩هـ-١٩٩٩م
- إكمال المعلم بفوائد مسلم، عياض بن موسى اليحصبي،تحقيق:يحي إسماعيل، دار الوفاء،المنصورة ،ط١ ،١٤١٩هـ -١٩٩٨م
- البداية والنهاية، إسماعيل بن كثير الدمشقي،تحقيق علي شيري،دار إحياء التراث العربي، ط١ ،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- البعث والنشور، أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق: الشيخ عامر أحمد، مركز الخدمات والأبحاث الثقافية،بيروت ،ط١ ،١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل لمسائل المستخرجة، محمد بن أحمد بن رشد القرطبي،تحقيق:محمد حجي وآخرون،دار الغرب الإسلامي،بيروت، ط٢ ،١٤٠٨هـ-١٩٨٨م

- التخويف من النار والتعريف بحال اهل البوار، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي، تحقيق: بشير محمد عيون، مكتبة المؤيد، الطائف، دار البيان، دمشق، ط٢، ١٤٠٩هـ -١٩٨٨م
- التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان،محمد ناصر الدين الألباني، دار باوزير للنشر، جدة،١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ط١
- تفسير القرآن العظيم،إسماعيل بن عمر بن كثير،تحقيق:محمدحسين شمس الدين،دار الكتب العلمية،بيروت، ط١، ١٤١٩هـ
- تفسير مجاهد،مجاهد بن جبر المخزومي،تحقيق:محمد أبوالنيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط١، ١٤١٠-١٩٨٩م
- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد الأزهري،تحقيق محمد عوض مرعب،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م
- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان،عبدالرحمن بن ناصر السعدي،تحقيق:عبدالرحمن اللويحق،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- التوقيف على مهمات التعاريف،عبدالرؤوف المناوي،عالم الكتب،القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م
- جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري،تحقيق: أحمد شاكر،مؤسسة الرسالة، ط١ ،١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م
- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، عبد الرحمن بن رجب الحنبلي،تحقيق: محمد الأحمدي، دار السلام للطباعة والنشر، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، محمد بن أحمد القرطبي،تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش،دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢ ،١٣٨٤هـ-١٩٦٤م
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، محمد بن إسماعيل البخاري،تحقيق:محمد زهير الناصر،دار طوق النجاة،ط١، ١٤٢٢هـ.

- جمهرة اللغة،محمد بن الحسن الأزدي،تحقيق رمزي منير بعلبكي،دار العلم للملايين، بيروت، ط١، ١٩٨٧م
- الجموع البهية للعقيدة السلفية التي ذكرها الغلامة الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، جمع محمود بن محمد المنياوي ، مكتبة ابن عباس، مصر، ط١، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م
- الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، محمد ابن قيم الجوزية،دار المعرفة، المغرب، ط١، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م
- حاشية السندي على سنن النسائي، محمد بن عبد الهادي السندي، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب، محمد الأمين بن محمد الشنقيطي،اشراف بكر أبو زيد، دارعطاءات العلم، ط٥ ١٤٤١هـ -٢٠١٩م.
- الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج،جلال الدين السيوطي،تحقيق:أبو إسحاق الأثري، دار ابن عفان، المملكة العربية السعودية، الخبر، ط١ ،١٤١٦هـ-١٩٩٦م
- رسالة في طاعة الكافر لاتنفع، عالم محمد الأيديني، دراسة وتحقيق، تحقيق:أحمد العيساوي،ديوان الوقف السني، مجلة البحوث والدراسات الإسلامية، عدد٥٦، ٢٠١٨م
- روائع التفسير (الجامع لتفسير الامام ابن رجب الحنبلي) عبد الرحمن بن احمد بن رجب الحنبلي، جمع وترتيب:طارق بن عوض الله بن محمد، دار العاصمة، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني،محمود بن عبدالله الألوسي،تحقيق: علي عبدالباري،دار الكتب العلمية، بيروت،ط١، ١٤١٥هـ
- زاد المسير في علم التفسير،عبدالرحمن بن علي الجوزي،تحقيق:عبدالرزاق المهدي،دار الكتاب العربي، بيروت، ط١ ،١٤٢٢هـ
- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني،تحقيق:محمد فؤاد عبدالباقي،دار إحياء الكتب العربية.

- سنن النسائي،أحمد بن شعيب النسائي،تحقيق:عبدالفتاح أبوغدة،مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب،ط٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م
- شرح صحيح البخاري،علي بن خلف ابن بطال،تحقيق:ياسر بن إبراهيم،مكتبة الرشد،الرياض،ط٢، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م
- شرح مشكل الآثار، أحمد بن محمد الطحاوي،تحقيق:شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٥هـ-١٤٩٤م
- شعب الإيمان، أحمد بن الحسين البيهقي،تحقيق:عبدالعلي عبد الحميد حامد،مكتبة الرشد،الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان البستي، تحقيق:شعيب الأرنؤوط ،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ-١٩٩٣م
- صحيح الترغيب والترهيب،محمد ناصر الدين الألباني،مكتبة المعارف، الرياض، ط٥،
- صحيح وضعيف سنن ابن ماجه، محمد ناصر الدين الألباني،مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة،الإسكندرية.
- عمدة القاري شرح صحيح البخاري،محمود بن أحمد بدر الدين العيني،دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- غريب الحديث،حمد بن محمد الخطابي،تحقيق:عبدالكريم الغرباوي،دار الفكر،١٤٠٢هـ-١٩٨٢م
- فتاوى السبكي،تقي الدين علي بن عبدالكافي السبكي،دار المعارف.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي،تحقيق: محمود شعبان بن عبد المقصود وآخرون، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن حجر العسقلاني،دار المعرفة، بيروت،١٣٧٩هـ
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، علي بن أحمد بن حزم الأندلسي،مكتبة الخانجي،القاهرة.

- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني،تحقيق جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية،بيروت ،ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م
- كتاب العين،الخليل بن أحمد الفراهيدي،تحقيق مهدي المخزومي،إبراهيم السامرائي،دار ومكتبة الهلال.
- كشف المشكل من حديث الصحيحين، عبد الرحمن بن علي بن الجوزي،تحقيق علي حسين البواب،دار الوطن،الرياض
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور،دار صادر، بيروت، ط١٤١٤،٣هـ
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،علي بن أبي بكر الهيثمي،تحقيق:حسام الدين القدسي،مكتبة القدسي،القاهرة، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م
- مجموع الفتاوى، أحمد بن تيمية،جمع وتحقيق:عبدالرحمن بن قاسم،مجمع الملك فهد لصباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، ١٤١٦هـ-١٩٩٥م
- المجموع شرح المهذب، يحي بن شرف النووي، دار الفكر.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز،عبدالحق بن غالب الأندلسي،تحقيق:عبدالسلام عبدالشافي،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ
- المحلى بالآثار، علي بن أحمد بن حزم،دار الفكر،بيروت.
- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية،تحقيق:سيد إبراهيم،دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م
- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين،محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية،تحقيق:محمد البغدادي،دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م
- المراسيل، سليمان بن الأشعث السجستاني،تحقيق:شعيب الأرنؤوط،مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م
- المستدرك على الصحيحين،الحاكم محمد بن عبدالله،تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م

- مسند أبي يعلى،أحمد بن علي الموصلي،تحقيق: حسين سليم أسد،دار المأمون للتراث، دمشق، ط١ ،١٤٠٤هـ-١٩٨٤م
- مسند البزار (البحر الزخار)، أحمد بن عمرو البزار،تحقيق:محفوظ الرحمن زين الله وآخرون،مكتبة العلوم والحكم، المدينة، ط١، ٢٠٠٩م
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (صحيح مسلم)، مسلم بن الحجاج النيسابوري،تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي،دار إحياء التراث العربي،بيروت
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي)، الحسين بن مسعود البغوي،تحقيق: عبد الرزاق المهدي،دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- المعجم الكبير،سليمان بن أحمد الطبراني،تحقيق:حمدي السلفي،مكتبة ابن تيمية،القاهرة، ط٢.
- معجم الفروق اللغوية،الحسن بن عبد الله العسكري،تحقيق:بيت الله بيات ومؤسسة النشر الإسلامي، مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ
- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس الرازي،تحقيق عبد السلام محمد هارون،دار الفكر،١٣٩٩هـ-١٩٧٩م.
- المعلم بفوائد مسلم،محمد بن علي المازري ،تحقيق:محمد الشاذلي، المؤسسة الوطنية للترجمة والتحقيق والدراسات، بيت الحكمة،تونس.
- المفردات في غريب القرآن، الحسين بن محمد الأصفهاني،تحقيق:صفوان الداودي،دار القلم،الدار الشامية،دمشق ،بيروت،ط١، ١٤١٢هـ
- مكارم الأخلاق ومعاليها ومحمود طرائقها،محمد بن جعفر الخرائطي، تحقيق أيمن البحيري،دار الآفاق العربية،القاهرة، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج (شرح النووي)، يحي بن شرف النووي،دار إحياء التراث العربي،بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، محمد بن أحمد الذهبي،تحقيق:علي البجاوي،دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م

ثَبْت المصادر والمراجع باللغة الإنجليزيّة اللاتينيّة:

thabt almasadir walmarajie biallughat al'injlyzyt allatynyt:

- alaistidhkari, yusif bin eabd allah bin eabdalbur,tahiqiqa:salm muhamad eata,muhamad eali maeawid,dar alkutub aleilmiati,birut, ta1, 1421h-2000m
- 'adwa' albayan fi 'iidah alquran bialqrani,muhamad al'amin bin muhamad alshanqiti,dar alfikri, birut,1415h-1995m
- 'iielam almuqiein ean rabi alealamin,muhamad bin 'abi bakr bin qiam aljawziati,tahqiqi: muhamad eabdalsalam 'iibrahim,dar alkutub aleilmiati,birut,ta1, 1411h-1991m
- al'amali almutlaqati, 'ahmad bin hajar aleasqalanii,tahqiq:hamdi bin eabd almajid alsalfi,almaktab al'iislami,birut, ta1, 1416h-1995m
- al'amthal fi alqurani, muhamad bn qiam aljawziati,maktabat alsahabati,masir, ta1, 1406h-1986m
- al'iimani, muhamad bin 'iishaq bin mindah, tahqiqu:eiliu alfaqihii,muasasat alrisalati, bayrut, ta2, 1406h
- aqtida' alsirat almustaqim limukhalafat 'ashab aljahima, 'ahmad bin eabd alhalim bin taymiati,tahqiqi:nasir aleaqla,dar ealim alkutab, bayrut, ta7 ,1419h-1999m
- 'iikmal almuealim bifawayid muslmin, eiad bn musaa alyahsabi,tahqiqa:yhi 'iismaeil, dar alwafa'i,almansurat ,ta1 ,1419h -1998m
- albidayat walnihayatu, 'iismaeil bin kathir aldimashqi,tahaqiq eali shiri,dar 'iihya' alturath alearabii, ta1 ,1408hi-1988m
- albaeth walnushur, 'ahmad bin alhusayn albayhaqi,tahqiqi: alshaykh eamir 'ahmadu, markaz alkhadmat wal'abhath althaqafiati,birut ,ta1 ,1406h-1986m

• alibayan waltahsil walsharh waltawjih waltaelil limasayil almustakhrajati, muhamad bin 'ahmad bin rushd alqurtibi,tahqiqu:muhamad hajiy wakhrun,dar algharb al'iislami,birut, ta2 ,1408h-1988m

• altakhwif min alnaar waltaerif bihal ahl albawari, eabd alrahman bin rajab alhanbali, tahqiqu: bashir muhamad euyuna, maktabat almuayidi, altaayifi, dar albayan, dimashqa, ta2, 1409h -1988m

• altaeliqat alhasaan ealaa sahih abn hibaani,muhamad nasir aldiyn al'albani, dar bawzir lilnashri, jidat,1424h -2003m, ta1

• tafsir alquran aleazimi,'iismaeil bin eumar bn kathira,tahiqiqu:muhamadhisin shams aldiyn,dar alkutub aleilmiatu,birut, ta1, 1419h

• tafsir mujahdi,mjahid bin jabr almakhzumi,tahiqiqu:muhamad 'abwialnili, dar alfikr al'iislamii alhadithati, masri, ta1, 1410-1989m

• tahdhib allughati, muhamad bin 'ahmad al'azhari,tahqiq muhamad eawad mureab,dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, ta1, 2001m

• taysir alkarim alrahman fi tafsir kalam almunani,eabdalrahman bin nasir alsaedi,tahiqiqi:eabdalrahmin alluwihuqu,muasasat alrisalati, ta1, 1420h-2000m

• altawqif ealaa muhimaat altaearifi,eabdalrawuwf almanawi,ealam alkutabi,alqahirati, ta1, 1410h-1990m

• jamie albayan fi tawil alquran (tafsir altabri), muhamad bn jarir altabri,tahqiqa: 'ahmad shakiri,muasasat alrisalati, ta1 ,1420h-2000m

• jamie aleulum walhukm fi sharh khamsin hadithan min jawamie alkalma, eabd alrahman bin rajab alhanbaliya,tahqiqa:

muhamad al'ahmadi, dar alsalam liltibaeat walnashri, ta2, 1424h-2004m.

• aljamie li'ahkam alquran (tafsir alqurtubii), muhamad bin 'ahmad alqurtubi,tahqiqa: 'ahmad albarduni wa'iibrahim atifish,dar alkutub almisriati, alqahirati, ta2 ,1384h-1964m

• aljamie almusnad alsahih almukhtasar min 'umur rasul allah wasunanih wa'ayaamiha(sahih albukharii), muhamad bin 'iismaeil albukhari,tahqiqu:muhamad zuhayr alnaasir,dar tawq alnajati,ta1, 1422h.

• jmharat allughati,muhamad bin alhasan al'azdi,tahqiq ramziun munir baelabaki,dar aleilm lilmalayini, bayrut, ta1, 1987m

• aljumue albahiat lileaqidat alsalafiat alati dhakaraha alghulamat alshanqitiu fi tafsirih 'adwa' albayani, jame mahmud bin muhamad alminyawii , maktabat abn eabaasi, masri, ta1, 1426h 2005m

• aljawab alkafi liman sa'al ean aldawa' alshaafi, muhamad aibn qiam aljawziati,dar almaerifati, almaghribi, ta1, 1418h-1997m

• hashiat alsindii ealaa sunan alnisayiyi, muhamad bin eabd alhadi alsindi, maktabat almatbueat al'iislamiati, halb, ta2, 1406hi-1986m

• dafae 'iiham aliadtirab ean ayat alkitabi, muhamad al'amin bin muhamad alshanqiti,ashraf bakr 'abu zayda, dareata'at aleilmi, ta5 1441h -2019ma.

• aldibaj ealaa sahih muslim bin alhajaji,jlal aldiyn alsuyuti,thiqiq:abu 'iishaq al'athari, dar abn eafan, almamlakat alearabiat alsueudiati, alkhabari, tu1 ,1416hi-1996m

• risalat fi taeat alkafir latanafaea, ealam muhamad al'aydini, dirasat watahqiqu, tahqiqu:'ahmad aleisawii,diwan alwaqf

alsini, majalat albuhuth waldirasat al'iislamiati, eadadi56, 2018m

• rawayie altafsir (aljamie litafsir alamam aibn rajab alhanbali) eabd alrahman bin ahmad bin rajab alhanbali, jame watartibi:tariq bin eawad allh bin muhamad, dar aleasimati, almamlakat alearabiat alsueudiati, ta1, 1422h 2001m

• ruh almaeani fi tafsir alquran aleazim walsabe almathani,mahmud bin eabdallah al'alusay,tahqiqi: eali eabdalbari,dar alkutub aleilmiatu, bayruta,ta1, 1415h

• zad almasir fi eilm altafsiri,eabdalrahman bin ealii aljuzi,thqiqi:eabdalrazaaq almahdi,dar alkutaab alearabia, bayrut, ta1 ,1422h

• sunan aibn majah, muhamad bin yazid alqazwini,tahqiqu:muhamad fuaad eabdalbaqi,dar 'iihya' alkutub alearabiati.

• snan alnisayiyi,'ahmad bin shueayb alnisayiya,tahiqiqu:eabdalfataah 'abughdata,maktabat almatbueat al'iislamiati, halba,ta2, 1406h-1986m

• sharah sahih albukharii,ealii bn khalaf abn batal,tahqiqi:yasir bin 'iibrahim,maktabat alrishdi,alrayadi,ta2, 1423hi-2003m

• sharah mushkil aliathar, 'ahmad bin muhamad altahawi,tahqiq:shaeayb al'arnawuwt,muasasat alrisalati, ta1, 1415h-1494m

• shaeb al'iimani, 'ahmad bin alhusayn albayhaqi,tahqiqu:eabdalealii eabd alhamid hamid,maktabat alrishdi,alriyad, ta1, 1423h-2003m

• sahih abn hibaan bitartib abn bilban, muhamad bin hibaan albasti, tahqiqi:shaeayb al'arnawuwt ,muasasat alrisalati, bayrut, ta2, 1414h-1993m

• shih altarghib waltarhib,muhamad nasir aldiyn al'albani,maktabat almaearifi, alrayad, ta5،

• sahih wadaeif sunan abn majahi, muhamad nasir aldiyn al'albani,markaz nur al'iislam li'abhath alquran walsunati,al'iiskandiriati.

• eumdat alqariy sharh sahih albukharii,mahmud bin 'ahmad badr aldiyn aleayni,dar 'iihya' alturath alearabia, bayrut.

• gharib alhadith,hamad bin muhamad alkhataabii,tahiqiqi:eabdalkarim alghirbawi,dar alfikri,1402h-1982m

• fatawaa alsibiki,taqi aldiyn eali bin eabdalkafi alsabiki,dar almaearifa.

• fath albari sharh sahih albukhari, eabd alrahman bin 'ahmad bin rajab alhanbalia,tahqiqi: mahmud shaeban bin eabd almaqsud wakhrun, maktabat alghuraba' al'athariati, almadinat alnabawiati, ta1, 1417h-1996m

• fath albari sharh sahih albukharii, 'ahmad bin hajar aleasqalani,dar almaerifati, bayrut,1379h

• alfasl fi almalal wal'ahwa' walnahla, ealiin bin 'ahmad bin hazam al'andalsay,maktabat alkhanji,alqahrati.

• ktab altaerifati, ealiun bin muhamad aljirjani,tahqiq jamaeat min aleulama'i, dar alkutub aleilmiati,birut ,ta1, 1403h-1983m

• ktab aleayn,alkhalil bin 'ahmad alfrahidi,thqiq mahdii almakhzumi,'iibrahim alsaamarayiy,dar wamaktabat alhilali.

• kashaf almushkil min hadith alsahihayni, eabd alrahman bin eali bin aljuzi,thqiq eali husayn albawabi,dar alwatan,alriyad

• lisan alearbi, muhamad bin makram bin manzur,dar sadar, bayrut, ta3,1414h

• majmae alzawayid wamanbae alfawayida,ealii bin 'abi bakr alhaythami,tahiqiq:husam aldiyn alqudsi,maktabat alqudsi,alqahrati, 1414h-1994m

• majmue alfatawaa, 'ahmad bin taymiat,jamae watahqiqu:eabdalrahman bin qasim,majmae almalik fahd lisabaeat almushaf alsharifi, almadinat alnabawiati, 1416h-1995m

• almajmue sharh almuhadhabi, yahi bn sharaf alnawawii, dar alfikri.

• almuharir alwajiz fi tafsir alkitaab aleazizi,eabdalhaqi bin ghalib al'andilsia,tahiqiqu:eabdalsalam eabdalshaafi,dar alkutub aleilmiata, bayrut, ta1, 1422h

• almuhalaa bialathar, eali bin 'ahmad bin hazma,dar alfikir,birut.

• mukhtasar alsawaeiq almursalat ealaa aljihmiat walmueatalati,muhamad bin 'abi bakr bin qiam aljawziati,tahqiqu:sid 'iibrahim,dar alhaditha, alqahirati, ta1, 1422h-2001m

• mdarij alsaalikin bayn manazil 'iiaak naebud wa'iiaak nastaein,muhamad bin 'abi bakr bin qiam aljawziati,tahqiqi:muhamad albaghdadi,dar alkutaab alearabia, bayrut, ta3, 1416h-1996m

• almarasili, sulayman bin al'asheath alsijistani,tahqiqi:shaeayb al'arnawuwt,muasasat alrisalati, bayrut, ta1, 1408h-1988m

• alimustadrak ealaa alsahihayni,alhakim muhamad bin eabdallah,tahqiq mustafaa eabd alqadir eata,dar alkutub aleilmiata, bayrut, ta1, 1411h-1990m

• msnad 'abi yaelaa,'ahmad bin ealii almusilia,tahqiqa: husayn salim 'asd,dar almamun liltarath, dimashqa, ta1 ,1404h-1984m

• msinid albazaar (albahr alzakharu), 'ahmad bin eamrw albazaar,tahiqiqu:mahfuz alrahmin zayn allh wakhrun,maktabat aleulum walhikmi, almadinati, ta1, 2009m

• almusnad alsahih almukhtasar binaql aleadl ean aleadl 'iilaa rasul allah salaa allah ealayh wasalam (shih muslimi), muslim bin alhajaaj alnaysaburi,thqiqa: muhamad fuaad eabdalbaqi,dar 'iihya' alturath alearbi,birut

• maealim altanzil fi tafsir alquran (tafsir albaghui), alhusayn bin maseud albughuy,tahqiq: eabd alrazaaq almahdi,dar 'iihya' alturath alearabii, bayrut, ta1, 1420h.

• almuejam alkabiru,silayman bin 'ahmad altabranii,tahqiq:hamdi alsalfiu,maktabat abn taymiati,alqahirati, ta2.

• muejam alfuruq allughawiatu,alhasan bin eabd allah aleaskari,tahqiqa:bit allah biat wamuasasat alnashr al'iislamii, muasasat alnashr al'iislami, ta1, 1412h

• muejam maqayis allughati, 'ahmad bin faris alraazi,tahqiq eabd alsalam muhamad harun,dar alfikri,1399h-1979m.

• almuealim bifawayid muslimu,muhamad bin ealii almazrii ,tahqiqi:muhamad alshaadhili, almuasasat alwataniat liltarjamat waltahqiq waldirasati, bayt alhikmat,tunus.

• almufradat fi gharayb alqurani, alhusayn bin muhamad al'asfahani,tahqiq:safwan aldaawdi,dar alqalma,aldaar alshaamiati,dimashq ,birut,ta1, 1412h

• makarim al'akhlaq wamaealiha wamahmud tarayiquha,muhamad bin jaefar alkharayiti, tahqiq 'ayman albuhayri,dar alafaq alearabiat,alqahirati, ta1, 1419h-1999m

• alminhaj sharh sahih muslim bin alhajaaj (shrah alnawawii), yahi bn sharaf alnuwawiu,dar 'iihya' alturath alearbi,birut, ta2, 1392h

• mizan aliaetidal fi naqd alrijali, muhamad bin 'ahmad aldhahbi,tahiqiqi:eli albijawi,dar almaerifati, bayrut, ta1, 1382h-1963m